بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا شك أن للجامعات العربية أثرا في ازدهار الحياة العلمية والأدبية ، وقد حظيت البلاغة العربية باهتمام كبير في الدراسات الجامعية الحديثة ، بعد أن أيقنت أن لا حياة للأدب ، ولا ازدهار ما لم يعد النظر في المقاييس البلاغية والنقدية لأن "البلاغة هي روح الأدب والأدب جسمها ومادتها تعلم صنعه وتبصر بنقده"[1] ولأنها مناط ادراك الاعجاز القرآني ، والذي كان أساسا أول في نشأة البلاغة .

ومن هنا عكف المتخصصون يحيون ما اندرس من قديم مشرق ، ويقتبسون مما أوحته الحياة الجديدة ، كذلك عكف بعض الدارسين على اتجاهات البلاغة يبحثونها ويقربونها للناس ، فكانت بحوث عن ابن المعتز وقدامة وأبي هلال ، وابن الأثير وابن أبي الاصبع وغيرهم من أصحاب الاتجاه الأدبي ، وبحوث عن عبد القاهر والزمخشري والرازي والسكاكي وغيرهم من أصحاب الاتجاه الكلامي ، غير أن للبيئة أثرا لا يغفل في بلاغة كل .... كذلك كانت بحوث عن شراح التلخيص كالخطيبي الخلخالي ، وسعد الدين التفتازاني ، والسبكي والبابرتي وغيرهم .

وبعد دراسة لكتاب (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) قادتنا الدراسة إلى وجود طور ثالث عند القدماء هو مزج التقسيمات السكاكية بالذوق الأدبي الناقد ، (حين يأخذ دارس بطرف من هذه وطرف من تلك على ما تدفعه إليه ظروفه والمؤثرات في حياته) [2]

(وكتاب عروس الأفراح من عمد البلاغة المصرية ... فهو يصور انعكاس البلاغة المشرقية في مصر وأثرها في دراسات المصريين للبيان .. ويتضح فيه بوادر اهتمام المصريين بالجوانب الذوقية ، وعزوفهم شيئا فشيئا عن البحوث المعنوية والمنطقية ..

---

(١) مناهج تجديد ٣٢٣

(٢) فن القول ٧٩

واقحام علوم الفلسفة والكلام على علوم اللسان والبيان) [1] ثم هو مع ذلك يمثل اتجاه مصر البلاغى حتى القرن الثامن الهجرى إذ كان مؤلفه — بهاء الدين السبكى — مصرى المولد والنشأة والدراسة والحياة كلها فهو بطبعه ينأى إلى حد كبير عن النظرات الفلسفية التجريدية التى كدرت صفاء الدراسة البلاغية عند المتأخرين ويهتم بتحكيم الذوق الأدبى الناقد فى دراسته للبلاغة وما يعرض له من نصوص أو شواهد بلاغية ، يناقشها مناقشة علمية ويحللها تحليلا دقيقا ، فهو يجمع بين البلاغة والنقد الأدبى ، ويعتمد فى دراسته على الاستقصاء والتحليل والموازنة والابتكار بحيث يمثل حلقة وضاءة فى تاريخ البيان العربى ، لذلك كانت دراستنا لكتابه (عروس الافراح) تهدف الى بيان الجهد البلاغى للسبكى وابراز الجانب الادبى فى دراسته البلاغية ثم بيان الاتجاه المصرى فى البلاغة ، لهذا قامت دراستنا فى هذا البحث على جانبين : جانب تاريخى يصل بين هذا الطور الذى مثله السبكى وبين ما سبقه وما لحقه من بحوث فى البلاغة العربية . وجانب آخر فنى يبرز ما أضاف هذا الكتاب من نظرات جمالية أسلوبية الى بحوث البلاغة العربية وما أبداه السبكى من توجيه الى أمور فى الأسلوب والعبارة والصياغة وتحليل الشواهد ونقدها نقدا موجها بناء . لأجل هذا قام البحث مدافعا عن الجمود والتعقيد الذى وصف به كتاب السبكى ثم تجلية الاتجاه البلاغى الذى انتهجه السبكى فى كتابه لتوضيح صورة الدرس البلاغى فى مصر حتى القرن الثامن الهجرى ولانصاف السبكى وبيان مكانته بين علماء البلاغة ووضع كتابه (العروس) الوضع الصحيح فى تاريخ البلاغة العربية .

لهذه الاسباب كان اختيارى لموضوع (كتاب عروس الافراح والدرس البلاغى فى مصر حتى القرن الثامن الهجرى) . وهناك أسباب أخرى منها :

١ — التعرف على ملامح البلاغة فى بيئتنا المصرية خاصة فى القرنين السابع والثامن الهجريين .

---

(١) د . زغلول سلام . تاريخ النقد العربى من ق٥ الى ق١٠ هـ . ص ٣٦١ ، دار المعارف بالقاهرة .

٢ — توجيه البحث إلى الكشف عن جهد عالم مصرى أسهم بنصيب كبير فى الدراسات البلاغية إذ كان اهتمام الدارسين — على مدار الفكر الإسلامى — موجها نحو علماء الإسلام غير المصريين ٠

٣ — إزالة التضارب الذى أثير حول بلاغة السبكى ، فهو يمثل اتجاه مصر البلاغى (الذى يأخذ من الاتجاه الكلامى تحديد الأنواع وتعريفاتها دون مغالاة فى التقنين واستنتاج النتائج ويأخذ من الاتجاه الأدبى الإكثار من الشواهد وتحليلها تحليلا تطبيقيا يربى الذوق وينمى العاطفة) [١]

٤ — دعوة الاستاذ أمين الخولى إلى أن يكون هذا الكتاب كتاب الدرس الموسع للبلاغة العربية فيكون الممر الموصل للدراسة الناضجة التى نرجو بها الانتقال التام بالبلاغة الى الطريقة الأدبية انتقالا مكونا للذوق ٠٠ ومعينا على النبوغ والتفوق فى النقد والإثمار [٢] لأن قيمة البلاغة الاولى دراسة النص الادبى لمعرفة مدى مطابقته لحال المتكلم أو المخاطب ومدى توافر عنصر الفصاحة فيه ٠ [٣]

وقد سبقنى الى الكتابة عن السبكى بعض الباحثين [٤] ، وقفت على مؤلفات بعضهم ، وأفدت منها فى دراستى هذه ٠

ولكن لا تزال هناك جوانب فى البحث لم تستوف عن السبكى وكتابه عروس الأفراح ذلك الكتاب الذى يعد من عمد البلاغة المصرية والذى يمثل اتجاه مصر البلاغى حتى ق ٨ هـ ٠

---

(١) ابن أبى الاصبع بين علماء البلاغة صـ ٣٧٣ د ٠ حفنى شرف ٠
(٢) الشيخ امين الخولى ٠ مناهج تجديد صـ ٢٥٢
(٣) د ٠ مهدى السامرائى ٠ المجاز فى البلاغة العربية صـ ١٨٨
(٤) د ٠ محمد بركات أبو على ٠ الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكى ٠ الاردن عمان ط ٠ ٠ ١٩٧٩م ٠
د ٠ عبد الفتاح لاشين ٠ البهاء السبكى وآراؤه البلاغية والنقدية ٠ دار الطباعة المحمدية ٠ القاهرة ٠
د ٠ محمود صفا ٠ المقاييس البلاغية بين ابن ابى الاصبع والسبكى ٠ رسالة =

فاستعنت بالله على البحث فى هذا الموضوع لعلى أضيف شيئا إلى كتابات السابقين وأوقف القارئ على بعض جوانب من جهود السبكى البلاغية وكيف درس السبكى البلاغة العربية ؟ وماذا أضاف من جديد إلى جهود من سبقه ومدى عناية السبكى بالنصوص وتحكيم الذوق فى دراسته ونقده ومناقشته ·

ويقع هذا البحث فى تمهيد وبابين :

ففى التمهيد تحدثت عن نشأة البلاغة وتطورها واختلاف مناشئها والبيئات الثقافية التى أثرت وأسهمت فى نشأتها وتطورها كالمتكلمين والأصوليين والمفسرين والأدباء والشعراء واللغويين والنحاة وغيرهم ·

وكان الباب الأول (مدارس البحث البلاغى) يشتمل على ثلاثة فصول :

الأول : عن البيئات البلاغية فى الأمصار الإسلامية وما ترجحه من مناهج · تحدثت فيه عن النشاط البلاغى فى بيئة إيران وبيئة الأندلس وبيئة العراق وبيئة الشام محللا بعض الكتب البلاغية التى ظهرت فى كل بيئة كاشفا عن منهجها فى البحث البلاغى وما اهتم به رجالها من مقاييس بلاغية منتهيا من ذلك بذكر سمات الدرس البلاغى فى كل بيئة موجزة فى نقاط ·

والفصل الثانى : كان عن (مناهج البحث البلاغى)

تحدثت فيه عن المدرسة الكلامية وخصائصها ·

والمدرسة الأدبية وخصائصها ·

ثم تحدثت عن صلة المدرستين والى اى مدى كان الاتصال بينهما وتبادل التأثير

= دكتوراه · بكلية اللغة العربية بالازهر برقم ١٣٢٦

د · عبد العزيز عرفة · بلاغة بهاء الدين السبكى · كتب فيها جزءا أول فى الفصاحة والبلاغة فقط ·

والتأثر فى منهجيهما وأثر ذلك الاتصال على البلاغة المصرية .

أما الفصل الثالث فكان حديثنا فيه عن (مصر والبحث البلاغى) بدأناه بالحديث عن سمات الشخصية المصرية ثم تحدثنا عن جهود المصريين فى خدمة البلاغة العربية كابن وكيع التنيسى (ت ٣٩٣ هـ) وابن شيث (ت ٦٢٥هـ) والعز ابن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) وابن أبى الاصبع المصرى (ت ٦٥٤هـ) وعرجنا بعد هذا على خصائص المدرسة المصرية فى البلاغة وانتهينا إلى أن البلاغة فى هذه البيئة أخذت طابعا خاصا ولكنها لم تبق على حالتها إذ دخل (مفتاح العلوم) هذه الديار وألقى بها عصا التسيار فكان هذا بداية امتزاج بلاغة المشرق ببلاغة العرب فتكون اتجاه جديد بدا بوضوح فى كتاب عروس الافراح للسبكى (بهاء الدين) وهو اتجاه مصر البلاغى الذى يجمع بين المعرفة العلمية والذوق الأدبى .

وكان الباب الثانى فى (السبكى وكتابه عروس الأفراح)
ويشتمل على خمسة فصول :

الاول : فى (صورة الحياة الأدبية والفكرية فى القرنين السابع والثامن الهجريين) .

وفى هذه الفترة ازدهرت الحياة الثقافية ، وكثر التأليف ، وخاصة فى العلوم الدينية وعلوم العربية بما لقى من تشجيع الحكام المماليك ، فأقبل العلماء على التأليف بدافع الغيرة على العلم والخوف من ضياعه ، فألفت الموسوعات الأدبية كنهاية الأرب والجغرافية كمسالك الابصار واللغوية كلسان العرب وغيرها ، ثم تلا ذلك اهتمام العلماء بالتلخيص والشرح وكتابة المتون ليسهل تحفيظها للطلاب ، ثم لا يلبث ان ظهر " المفتاح " فى مصر وأقبل عليه الشراح يشرحونه ثم لخصه القزوينى فى متنه المعروف والمشهور ، وكتب له أن يذيع وينتشر فأقبل عليه العلماء يشرحونه ويضعون عليه الحواشى والتقارير فشرحه القزوينى وسماه (الإيضاح فى شرح تلخيص المفتاح) وشرحه بهاء الدين السبكى وسماه عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح وهو لب موضوعنا .

وكان الفصل الثانى عن (نشأة السبكى وحياته وآثاره العلمية) بيّنت فيه أن السبكى نشأ فى بيت علم ، وتلقى العلم عن والده وعن شيوخ علماء ، وزخرت حياته بمؤلفات قيمة فى كل صنوف المعرفة ، فعاش حياته فى هذا الجو المفعم بالعلم والعلماء فساد وهو ابن عشرين ، وتولى القضاء والخطابة ودرس بالمدارس والمساجد وبرع تلميذا وبرع أستاذا وصنف فى العلوم ومن أشهر مؤلفاته كتاب عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح (وهو شرح ممتع دل به على سعة اطلاعه وغوصه فى العلوم العربية) (١)

وكان الفصل الثالث عن (منهج السبكى فى عروس الأفراح) تحدثت فيه عن دوافع السبكى لشرح التلخيص ، والغرض من تأليف الكتاب ، والمصادر التى استعان بها على تأليفه — بلاغية وغير بلاغية — وبلغت طريقة السبكى فى شرحه وهى طريقة متعددة الجوانب ، إذ كان السبكى واسع الثقافة ، مطبوعا على الذوق السليم الذى وهبه المصريون ، فكان لكل ذلك أثره فى شرحه ، ولذلك رأيناه يربط بين البلاغة والعلوم الأخرى كالنحو والاصول والفلسفة والمنطق ويمزج المسائل البلاغية بالذوق دون طغيان الفلسفة والمنطق مع الاستعانة بمعارفه الأخرى من العلوم التى ثقفها ، ولكن السمات الذوقية واضحة فى شرحه ، وناقشت الباحثين الذين وصفوا كتاب السبكى بالتعقيد والاستطراد الممل ، وإقحامه بمسائل الفلسفة والمنطق — لمن وقفت على آرائهم — بما تبين لى من دراسة الكتاب .

واعترافا بالمنهج النقدى المتكامل فى الدراسات الإنسانية ، والبلاغة من هذه الدراسات الانسانية ذكرت فى نهاية الفصل بعض المآخذ التى وجهت اليها الدراسة وهى على كل حال مآخذ قليلة مشبوثة فى تضاعيف الكتاب ولا تندرج عليه كله .

---

(١) احمد مصطفى المراغى . تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٤٤ .

وفى الفصل الرابع قدمت دراسة تحليلية لعروس الأفراح تحدثت فيه عن الفصاحة والبلاغة وعلوم البلاغة الثلاثة (المعانى والبيان والبديع) مبينا ما وافق السبكى فيه القزوينى وما خالفه فيه من موضوعات البلاغة اذ يعتبر السبكى البديع من أصل البلاغة مخالفا بذلك السكاكى والقزوينى اللذين جعلا البديع تابعا لعلمى المعانى والبيان ، وفى دراسة السبكى التطبيقية للأمثلة البلاغية يخلط العلوم الثلاثة فى فن واحد اذ لا يعتبر فصلا بينها ويعتبرها وحدة واحدة ، وأبنت كذلك عن جهوده البلاغية فى تحقيق المسائل ومناقشة الآراء وتحليل النصوص ونقد الشواهد واستدراكاته على المصنف وما أضافه من زيادات حسنة وبحوث قيمة رأى أهميتها فى خدمة الدرس البلاغى وتوقفت عند بعض آرائه ، وناقشته فيها ، ورددت بعضها لظهور الغفلة فيه أو لمخالفته رأى الجمهور أو لاستناده على أدلة غير قاطعة وكان هذا يمثل بعض المآخذ على السبكى أشرت اليها فى مواضعها .

أما الفصل الخامس فكان فى (المقاييس البلاغية عند السبكى) ذكرت منها المقياس اللغوى والمقياس النحوى ، والمقياس الذوقى مستشهدا لكل مقياس بعدة شواهد من عروس الافراح ، ثم أتبعت ذلك بمبحثين : تحدثت فى أحدهما عن (قيمة عروس الأفراح البلاغية) والتى تمثلت فيما اشتمل عليه الكتاب من نصوص بلاغية نقلها السبكى عن العلماء السابقين ولم يبق بين أيدينا منها سوى ما نقله السبكى فى كتابه وما اشتمل عليه الكتاب من آراء السبكى البلاغية ونظرات نقدية موجهة فى العبارة والاسلوب والشواهد الموروثة عن العلماء السابقين .

وتحدثت فى المبحث الثانى عن (قيمة عروس الأفراح كموسوعة علمية) بما اشتمل عليه من أبحاث جيدة فى الأصول والنحو واللغة وغيرها مما لا يخلو من فائدة عمد السبكى إليها حين قال فى مقدمة كتابه (وجعلت نفعه مقسوما بين طالبى العلوم الثلاثة) [1] ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التى توصلت إليها من دراسة الموضوع .

---

(١) عروس الأفراح ١ / ٢٧

وفى أثناء البحث كنت أضبط الآيات القرآنية وأشير إلى مواضعها فى القـــرآن الكريم كما كنت أضبط الأبيات الشعرية الواردة فى الكتاب وأوثقها ما أسعفتنـــى المصادر والمراجع ، وأرجع بعض أقوال البلاغيين والنقدة التى استخدمها السبكى إلى مكانها من غير كتاب عروس الأفراح ، مما ألزمنى الاتصال بأغلب الكتب البلاغيـة وكان يصادفنى — أحيانا — فى بعض نصوص العروس شىء من التصحيف فأردده الـى الصواب مشيرا الى ذلك فى الحاشية .

هذه خطة البحث ومنهجه ، وهو منهج أملته علينا طبيعة الموضوع .

أما مصادر البحث فهى كثيرة ويمكننا حصرها فى ضربين :

الاول : كتب التاريخ والتراجم وقد استعنت بها فى تصوير تاريخ حياة السبكى وسيرته وآثاره وأهمها كتب التاريخ التى كتبت فى عصره أو بعده بقليل كالسلـوك والخطط للمقريزى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى والدرر الكامنة لابن حجـــر وحسن المحاضرة للسيوطى وغيرها .

الثانى : كتب البلاغة والنقد : وتضم كثيرا من كتب البلاغة والنقد العربيـــة وقد استفدت منها فى رسم هيكل البحث ووضع خطوطه العامة ، وكان لها فضـــل الموازنة والتوجيه ولكن مادة البحث الاساسية تستقى أصولها من عروس الأفـــراح للسبكى وتلخيص القزوينى وإيضاحه وبعض الشروح الأخرى .

ومهما يكن من شىء فقد كان لكل كتاب أثبتناه فائدة عظيمة وأثر واضح ، وكان لاستاذى الجليل الدكتور رجاء عيد وتوجيهاته فيما أبداه من ملاحظات على البحث أعظم النفع وأطيب الاثر فى توجيه البحث واخراجه على هذه الصوره .

والله من وراء القصد وهو نعم المستعان أسأله التوفيق لما فيه خدمة أمتنـــا الخالدة .